مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٨١/٥/٢٧

بقلم

بقلم : ابراهيم نافع

٣٤ ساعة تاريخية وقفة مع العالم العربى

كانت أول زيارة لى للخرطوم عاصمة السودان الشقيق. الهبوط على أرض أى دولة يزورهـا الانسـان لاول مرة يفرض تساؤلات كثيرة قبل الزيارة وبعدها ، صحيح أن ما نعلمه وتعلمناه عن العلاقات المصرية السودانية كثير وعميق وغزير ، وهـو أمر يطـول شرحه ، فالتاريخ والجغرافيا يؤكدان الاستمرار الابدى لهذه العـلاقة الى نهاية هذه الدنيا .

لم يكن غريبا ، وتلك هى زيارتى الاولى للسودان انه رغم طيران يقرب من الساعات الثلاث أن يحس الإنسـان للوهلة الاولى أنه أمام نفس الاهـل ، انه الدم والرحم والتاريخ بالفعل .. وفاضت المشاعر من فرط الحمـاس الدافق ، والحب الصادق ، ومودة الترحيب النابعة من القلب . لا شىء قد تغير بالتأكيد عندما بدأ الموكب يسير على ضفاف النيل وأهل السودان على الجانبين .. نحن بالفعل كأننا فى الاقصر أو فى أسوان .

•• كان السؤال الاول اذن : هل من الممكن ان تتوقف العلاقات بين مصر والسـودان فترة من الزمن تطول أو تقصر : هل يتمذلك ونحن نشرب من نهر واحد تمر مياهه المتدفقة من المنبع لتصب عندنا . هذه الميـاه التى تروى

الانسان والارض وتعود بالخير على السودان قبل أن تنشر الرزق والعيش على الشعب المصرى • كان الرد الطبيعى انه لا يمكن اعتبار ما حدث فى العلاقات الدبلوماسية حتى مجرد توقف لسحب السفراء وانما كان نوعا من الابطاء فى حتمية عودة السفراء بعد أن تم سحبهما تبعا للظروف العربية .. فالتعاون العسكرى لم يتأثر ، والتبادل التجارى كان مستمرا ، ومشروعات التكامل موجودة ، وان كانت قد تعطلت لظروف تخرج تماما عن طبيعة سحب السفراء . لذلك كله كان لابد أن يعود الحب والاخاء اكثر مما كان .

ونضيف الى ذلك عدة أسباب رئيسية وموضوعية :

● **اولا : ان الرئيس جعفر نميرى فى ضوء تجربته وممارسته للحوار مع كل الاطراف ولمدة عامين تقريبا أصبح لديه اقتناع كامل بأن القضية الفلسطينية التى أجمعنا على أنها القضية الرئيسية فى مشكلة الشرق الاوسط أصبحت قضية يتاجر بها للاسف أصحابها ، ويتاجر بها أيضا هؤلاء الذين يخافون أن تسقط أنظمتهم اذا ما تم حل هذه القضية . فالمقاومة الفلسطينية أصبحت تلعب على وتر الخلافات العربية بدلا من أن تأخذ قضيتها فى يدها بعيدا عن هذه الخلافات الحزبية والشخصية التى سادت العالم العربى . والمقاومة**

الفلسطينية تجزات الى تسيع واحزاب تتبع موسكو وتتبع دمشق وتتبع طرابلس وتتبع بغداد بدلا من توحيد جهودها واجماع ارادتها فى شكل حكومة مؤقتة لها معايير واضحة وميزانية سليمة تدعم نشاطها وتعود بالخير على ساكنى المخيمات وتعزز صمود اهل الارض المحتلة .

ليس هناك على سبيل المثال مايفسر بالنسبة للرئيس نميرى توجه ياسر عرفات واعضاء المجلس التنفيذى الفلسطينى الى معمر القذافى وهو الذى يريد اسقاط الحكم الشرعى فى السودان وهو الذى منع منذ فترة غير قصيرة المساعدات عن المنظمة وطرد ممثليها لاصراره على استخدامها كأداة للارهاب الدولى الذى يتزعمه .

● ثانيا : ان الرئيس جعفر نميرى اصبح ايضا على اقتناع بانه لابد من وقفة مع العالم العربى ليراجع نفسه . ذلك يتم على أساس جوهرى هو أن السودان يلعب دورا تقليديا غير جديد فى قضية التضامن العربى برز منذ انعقاد مؤتمر القمة العربى فى اغسطس ١٩٦٧ بعد الهزيمة والذى تم فيه تقديم الدعم المالى لمصر لاعادة تسليح قواتها المسلحة.

كما ان ذلك يتم ايمانا من الرئيس السودانى ان العالم العربى يفتقد عنصر القوة ، وأن مصر دون العالم العربى لابد وانها تفتقد الاهل حتى وان كانت غاضبة منهم .

وفى اعتقادنا أن الوقفة مع العالم العربى لابد أن تتم بمراجعة المواقف العربية وأهدافها . فمن غير المعقول أن تهدد سوريا بالاعتداء على الاردن من وقت لاخر ثم ينتهى التهديد بعد أن تدفع السعودية الاموال المطلوبة . أو أن تفتعل سوريا أزمة مثل أزمة الصواريخ على الارض اللبنانية استرجاعا للدعم المالى الذى أوقفته السعودية والكويت ، أو تغطية للموقف

الداخلى المتدهور امام حافظ الاسد وشقيقه ، بغض النظر عن الاخطار التى تهدد لبنان وتهدد المنطقة كلها .

● **ثالثا : انه يتضح من خطاب الرئيس السودانى فى عيد الثورة او تصريحاته فى المؤتمر الصحفى انه قد اصبح على اقتناع بان المصالحة العربية لا يجب بالضرورة ان تكون مصالحة كاملة يتم فيها اتفاق جميع الاطراف على جميع القضايا وتفاصيل حلولها . فليس هناك ما يمنع ان يختلف العرب حول وسائل التنفيذ طالما ان جميع هذه الوسائل تؤدى الى الهدف الكبير وهو حل القضية العربية التى تتمثل اساسا فى القضية الفلسطينية وانهاء الاحتلال من الجزء الباقى من الارض العربية . لكن هناك علاقات لابد من استمرارها بين الدول العربية لانهاء التفلغل الشيوعى والتخلف الاقتصادى . ونحن ايضا على اقتناع كامل بان جميع المشاكل العربية لن تحل مرة واحدة ولكن هناك عدة صيغ للمصالحة العربية تحتاج الى جهد ابتكار جديد قد يوصل لحل مشكلة بعد أخرى .**

وعودة الى المهمة التاريخية التى اشترك فى ادائها الرئيس نميرى والرئيس انور السادات والتى باركها وايدها الشعبان السودانى والمصرى ، فاننا نوضح فى عجالة ايجابياتها الاساسية افريقيا بعد ان حاولنا شرح اهميتها كتحرك يقرب وجهات النظر بين مصر والدول العربية

① ان هناك تطابقا كاملا بالنسبة لاستراتيجية مصر والسودان ازاء علاقاتنا الافريقية . هذه الاستراتيجية تقوم على اساس الالتزام بمبدأ عدم تدخل اى دولة افريقية فى

الشئون الداخلية للدول الاخرى وكذلك التطبيق الكامل لمبدأ عدم الاستيلاء على أراضى الدول الاخرى بالقوة .

② أن مصر وافقت على الفور على حضور المؤتمر الذى دعت اليه السودان لدول حوض النيل ، مما سيكون نتيجته انشاء اول منظمة دولية من هذا النوع لتضع أسس التعاون بين هذه الدول فى استخدام مياه النيل وتنظيم استهلاك هذه المياه وزيادة عائد خيراتها لجميع هذه الدول صحيح أن هذا الجهاز يعتبر جهازا فنيا الا أنه سيتحول بالضرورة الى جهاز سياسى يرعى ويدعم العلاقات بين الدول التسع الواقعة على حوض نهر النيل .

③ ان مصر والسودان سيشتركان وعلى اعلى مستوى فى اجتماعات هيئة الوحدة الافريقية فى نيروبى والتى يحضرها رؤساء ورؤساء حكومات ٥٠ دولة افريقية . وستساهم مصر والسودان فى ايجاد جميع الوسائل التى يكون من شأنها دعم هذه الهيئة التى ينتميان اليها وحمايتها من محاولات الاستقطاب من جانب الاتحاد السوفيتى او من جانب دول الرفض التى تدور فى فلكه او من جانب التدخل العسكرى السوفيتى غير المباشر باستخدام الجنود الكوبيين

وقد يكون هذا المؤتمر فرصة لكل من مصر والسودان للمساهمة الفعالة فى ايجاد حلول للخلافات التقليدية والقديمة بين أثيوبيا والصومال أو بين كينيا والصومال نظرا للعلاقات الخاصة بين كل من مصر والسودان بهذه الدول الثلاث .

④ ان مصر والسودان باعتبارهما عمقا واحدا فهما يتعاونان عسكريا الى ابعد مدى منعا لاى تغلغل شيوعى مباشر أو عن طريق دولة تدعى أنها دولة عربية أو أفريقية وهى فى الاساس مدفوعة من جانب الاتحاد السوفيتى . ومهما حاول البعض ايجاد تسمية

لهذا التعاون أو أن هناك قواعد مصرية أو سودانية فى كل من البلدين فان ذلك لن يؤثر على الاطلاق على مبدأ أن العمق المصرى والسودانى عمق واحد لا يتجزأ وأن أى اعتداء على هذا العمق يعتبر اعتداء على مصر والسودان .

أما من ناحية التنسيق الثنائى بين مصر والسودان دعما للتنمية الاقتصادية والاجتماعية فى كل منهما فانه يجب الاعتراف أنه لابد من ايجاد تفكير وأسلوب جديد بعيد كل البعد عن طريقة تفكير وأسلوب الجامعة العربية الذى يتخذ القرارات وينظم الزيارات . ودون دخول فى تفاصيل وسائل التكامل بين البلدين فان البداية هى : أن تكون هناك أجهزة مستقلة محددة لها سلطات واسعة تمكنها من اتخاذ القرارات الاساسية التى تحقق مصالح الشعبين .

قرارات كثيرة وأهداف قريبة وبعيدة تم تحديد التحرك من خلالها ، انها بحق ٢٤ ساعة تاريخية .

ابراهيم نافع